# الحياة العلمية في بلاد المغرب الأوسط من خلال رحلة العبدري (ت. بعد 700هـ / 1300م)

# Scientific life in the countries of the Central Maghreb through the journey of Abdari (d. after 700 AH / 1300 AD)

**د. مرزاق بومداح**
**المدرسة العليا للأساتذة**
**- بوزريعة - الجزائر**

**الملخص:**

يعتبر محمد العبدري (ت. 700هـ/1300م) من أهم الرحالة إلى بلاد المغرب الأوسط في أواخر القرن 7هـ/13م، وقد برزت أهمية رحلته في كونه أديبا وعالما من علماء المغرب الإسلامي، وقد صرف جل اهتمامه أثناء رحلته في وصف الحالة العلمية في المناطق التي مرّ بها من المغرب الأقصى إلى بلاد المشرق الإسلامي، ومنها بعض مدن بلاد المغرب الأوسط، فوصف لنا الحياة العلمية لمدن تلمسان، ومليانة، وجزائر بني مزغنة، وبجاية، وميلة، وقسنطينة، فذكر لنا مجالس العلم والعلماء التي كانت تعقد آنذاك، وبعض الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم، وأبرز العلوم التي كانت يهتم بها، وطرق التدريس السائدة آنذاك، كما وصف لنا حالة بعض المؤسسات العلمية كجامع بجاية وغيره، كما أورد لنا نصوصا أدبية: شعرية ونثرية ونقدية مما زاد من الأهمية العلمية لرحلته هذه مقارنة بباقي الرحلات الأخرى.

**الكلمات المفتاحية:**

العبدري؛ المغرب الأوسط؛ الحياة العلمية؛ الرحلة، القرن 07هـ/13م.

**Abstract:**

El-Abdari (d. 700 AH/1300 AD) is considered one of the most important scholars who had a trip to the Central Maghreb in the late 7th century AH / 13 AD, and the importance of his journey emerged in being a writer and scholar of the scholars of the Islamic Maghreb, and he spent most of his attention during his journey in describing the scientific situation In the areas he passed through from the Far Maghreb to the countries of the Islamic East, including some cities of the Central Maghreb, he described to us the scientific life of the cities of Tlemcen, Miliana, the islands of Beni Mzghna, Bejaia, Mila, and Constantine. The sheikhs who studied at their hands, the most prominent sciences that he was interested in, and the teaching methods prevailing at the time, as he described to us the state of some scientific institutions such as the Bejaia Mosque and others, as well as providing us with literary texts: poetic, prose and critical, which increased the scientific importance of this trip compared to the rest of the other trips.

**Keywords:**

EL-Abdari; Central Maghreb; Scientific life; The trip, 7th century AH/13th CE.

**المقدمة:**

من أهم مصادر تدوين تاريخ المغرب الأوسط كتب الرحالة والجغرافيين، ويعتبر العبدري من أبرز الرحالة الذين زاروا بلاد المغرب الأوسط خلال أواخر القرن 7هـ/13م، فنقلوا لنا الكثير من الأوصاف الجغرافية والتاريخية عن المنطقة، وقد برزت أهمية رحلته العبدري في اعتنائه الشديد بالجانب العلمي الذي فاق غيره كابن جبير وابن بطوطة.

ومن هنا يتبادر إلى الذهن التساؤلات التالية: من هو العبدري؟ وفيما تميزت رحلته عن باقي الرحلات التي سبقته أو أتت من بعده؟ وإلى أي مدى يستفيد الباحث أو المؤرخ عند تدوينه لتاريخ المغرب الأوسط وبالخصوص الجانب العلمي؟

**أولا: التعريف بالعبدري وكتابة الرحلة:**

**1- اسمه ولقبه:**

هو أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن علي بن أحمد بن سعود، ويقال له الحاحي و (الحيحي) نسبة إلى بلاد (حاحة) القبيلة البربرية، أي من سكان بلدة حاحة بلاد السوس بالمغرب الأقصى، ويقال له العبدري، لأن نسبه ينتهي إلى عبد الدّار بن قصيّ بن كلاب، وهو بالتالي من القبائل العدنانية أو العرب المستعربة. وأصله من مدينة بلنسية الأندلسية، ولكن الأستاذ محمد الفاسي نفى هذه النسبة الأندلسية عن الرجل في بحث له عن العبدري وقرر أنه مغربي من أصل عربي قرشي يرجع إلى بني عبد الدار، وذهب الأستاذ أحمد بن جدو الذي نشر هذه الرحلة أخيرا في الجزائر إلى أن الرجل قد يكون أصل بيته من بلنسية، ثم هاجر أهله به وهو صغير إلى بلاد المغرب، حيث استقروا في الإقليم الذي ينسب إلى قبيلة حاحة المصمودية حول بعد 60 كيلومتر من مدينة الصويرة الحالية المعروفة باسم موجادور أيضا شمالي مدينة أغادير في الشاطئ الأطلسي[1].

ولم تذكر لنا المصادر والمراجع في حدود ما اطلعت عليه تاريخ ولادة العبدري ووفاته وكلّ ما نعرفه أنّه قام برحلته في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام 688هـ/1289م، وكان عندها في عنفوان عمره كما قال له شيخه أبو زيد الدّباغ؛ فإذا افترضنا أنّه كان آنذاك في الخامسة والأربعين. بدليل قوله عن ابن خميس التّلمساني الّذي كان حين لقيه في تلمسان في الثّامنة والثّلاثين من عمره بأنّه:" فتيّ السّن" فتكون ولادته حوالي سنة (643هـ/1245م) وأغلب الظّنّ أنّ وفاته كانت بعد 700هـ/1300م، وهذا قريب ممّا قدّره الدّكتور عمر فرّوخ إذ جعل وفاته سنة (720هـ/1320م)[2].

**2- أبرز شيوخه وتلاميذه:**

لم يذكر لنا العبدريّ شيئا عن بدايات تعليمه الأولى، ولم تذكر لنا المصادر والمراجع في حدود ما اطلعت عليه عن بدايات تكوينه العلمي، ومن المحتمل أنهّ تتلمذ على والده المعلّم ـ ودخل الكتّاب ـ كما كانت العادة ـ في بلدته حاحة الواقعة **على المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى**، فحفظ القرآن، وتعلّم على الطّريقة المتّبعة حينئذ من التّدرّج في حفظ المتون، وتعلم العمليّات الحسابيّة، ثم ارتقى إلى أن أصبح من الطّلاب، عندها انتقل إلى مرّاكش الّتي كانت مركزا علميّا مرموقا آنذاك، فأخذ عن جلّة من علمائها أمثال محمّد بن علي بن يحيى الشّريف الّذي كان شيخه وشيخ صاحبه ابن عبد الملك المراكشي[3].

**ومن العلماء والشيوخ** الذين تتلمذ على أيديهم في أثناء رحلته فأما ببلاد المغرب الأوسط نذكر ما يلي: في مدينة تلمسان التقى بمحمد بن عمر بن محمد بن خميس الذي أخذ عنه علم الأدب والشعر، وقد أكثر من مجالسته ومفاوضته، وروى عنه الكثير من الأشعار وقد دونها في كتابه الرحلة، وأيضا التقى بتلمسان بأبي زكريا يحي بن عصام وكان عالما باللغة والشعر وكان جارا لأبي عبد الله بن خميس فكان يجتمع به عنده كثيرا وأخذا عنه الشعر، والتقى في بجاية بالعالم الفقيه الخطيب المسند الرواية محمد بن صالح الكناني الشاطبي (ت. 699هـ/1300م، وأخذ عنه الحديث وعلوم القرآن وبعض الأشعار وغيرها من العلوم. وفي قسنطينة التقى بالفقيه علي حسن بن بلقاسم بن باديس وقرأ عليه صدرا من موطأ الإمام مالك[4].

وأما بتونس ففي مدينة باجة التقى الأديب النحوي حسين بن محمد الطبلي ومما قرأ عليه كتاب المقرب في النحو، وفي مدينة تونس التقى بعبد الله بن هارون القرطبي قرأ عليه بعضا من موطأ الإمام مالك برواية يحي بن يحي، وقرأ عليه بعض كتاب التيسير لأبي عمرو المقرئ، كما سمع عليه من صحيح مسلم، وأجازه في كل ما تصح روايته عنه إجازة عامة، كما أجاز ولده محمد وكتب له ذلك بخط يده والفقيه الأديب محمد بن عبد المعطي الشهير بابن هريرة فسمع منه وأجازه، وبالقيروان التقى بالفقيه المحدث عبد الرحمن بن محمد ويعرف بالدباغ صاحب كتاب معالم الإيمان فأجازه وأجاز ولده محمدا وأخذ عنه الحديث وبطرابلس حضر حلقة تدريس الشيخ القاضي الخطيب عبد الله بن عبد السيد[5].

وأما في مصر بمدينة الإسكندرية التقى بالفقيه والمفتي علي ين محمد المالكي ويعرف بابن المنير فقرأ عليه الأربعين حديثا البلدانية، وقرأ عليه صدرا من موطأ الإمام مالك، وقرأ عليه بعض الجزء الثاني من مختصر الفقيه ابن الحاجب، وسمع منه قصيدته النبوية التي نظمها في سفره إلى الحجاز، ولقي بالإسكندرية المحدث والفقيه تاج الدين علي الغرّافي فقرأ عليه ثلاثيات البخاري وقرأ عليه أحاديث إسماعيل بن جعفر من جزء أبي صالح محمد بن أبي الأزهر المكي المعروف بابن زنبور، وبالقاهرة التقى بالمحدث الفقيه المفتي شرف الدين الدمياطي فأخذ منه الحديث ونقل عنه بعض القصائد، والتقى بالقاهرة بالمحدث الفقيه الأصولي تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد فأجازه جميع ما حدث من مسموعاته، وجميع ما صدر عنه من نظم ونثر وأجاز ولده محمدا[6].

وأما بأرض الحجاز ففي المدينة التقى بالحافظ المحدث بعبد السلام بن محمد التماري وكان من العراق وكان مجاورا بالمدينة فأجازه لفظا بكل ما يحمل، وبأرض الشام ففي فلسطين بأرض المقدس التقى بمحمد بن إبراهيم بن جماعة فحضر مجالسه العلمية[7].

وقد أفاد العبدريّ من كثرة مشايخه، وتنوّع ثقافاتهم فأتقن كثيرا من الفنون، ظهرت جليّة في رحلته الّتي بدا فيها المؤلف حافظا للقرآن والحديث، مطّلعا على الأدب العربي نثره وشعره، وخطبه ورسائله، عارفا بأيّام العرب وغزواتهم، وفصحاء خطبائهم، وله معرفة بالأسماء والألقاب والكنى، وأسماء الأماكن، وبمصطلحات علوم الأدب والبلاغة والعروض، وكان كما يذكر الزركلي فقيها رحالة مالكي وقاضيا بمراكش، وكان شاعرا فحلا وأديبا نقادا [8].

وأما عن تلاميذه فقد ذكر لنا ابن القاضي أبو القاسم بن رضوان، وبعد رجوع العبدري من رحلته تولى منصب القضاء بمدينة بمراكش في عهد الدولة المرينية، ثم استقر في بلدة حاحة وتوفي بها[9].

**3- مؤلفاته:**

لا نعرف حتّى الآن للعبدريّ مؤلّفا غير الرّحلة الّتي بين أيدينا غير أنّنا لا نسلّم بهذا، ولا نظنّ أنّ علم الرّجل عقم عن كتاب آخر وهو من هو في علمه ومكانته، وقد ذكر رضا كحالة أن من آثاره: رحلة، فهرسة، وله نظم[10].

ويبدو أنّ غوائل الدّهر قد أتت على ما أنتجه هذا العالم، ولم يسلم لنا سوى الرّحلة. وممّا يعيننا على ما نذهب إليه ويقويه أن البلويّ أورد في رحلته قصيدة العبدريّ التّائيّة الّتي عارض فيها القاضي عياضا في كتابه «الشّفا» ومطلعها:"

مني سلام طيّب النفحات  يا ساكني دار الحبيب عليكم.

وكذلك فقد أتى العبدريّ ببيت مفرد في رحلته وهو:

شبابي وال جاء شيبي بعزله  فقام بأعلى الرّأس أيّ خطيب.

وقال قبل إيراده:" وقد كان هذا المعنى عرض لي قديما فنظمته في بيت من قصيدة". وهذا يعني أن ديوان شعره ما خلا بعض الشّذرات منه الّتي وقفنا عليها قد ضاع.

وكذلك أشار صاحب فهرس الفهارس إلى أنه يروي فهرسة العبدري من طريقين مختلفين وهما: طريق أبي القاسم ابن رضوان

الكاتب عنه، ومن طريق أبي زكرياء السراج عن أبي عبد الله ابن حياتي الغافقي عنه، حسب إجازته له ما تصح روايته له إذا ثبت ذلك عنده، كما في ترجمة ابن حياتي من فهرسة السراج، ولا نظن أنه عني بالفهرسة الرحلة، لأنّه ضرب من التّأليف يختلف اختلافا بيّنا عن التّأليف في الرّحلات[11].

**4- التعريف بكتابه الرحلة:**

ألف العبدري كتابا دوّن فيه رحلته، وقد أطلق على كتابه هذا عدة تسميات منها: الرحلة المغربية لـ للعبدري، أو كما سماها الزركلي "الرحلة العبدرية" أو كما ذكرها فروخ باسم "ملء العيبة فيما اجتمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة" أو "ما سما إليه الناظر المُطرق إلى بلاد المشرق"، ولكنها تُعرف عادة بالرحلة المغربية، وقد بدأ العبدري بتدوين رحلته في أثناء إقامته بتلمسان ولكنه لم يتمكن من إظهارها كما يذكر إلا بعد خروجه منها، وقد اطلع عليها بعض شيوخ مصر وغيرهم[12].

وأما عن المنهج الذي اعتمده العبدري عند تأليفه لكتابه الرحلة فقد بينه لنا في مقدمة كتابه بقوله:" وبعد: فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه وتعالى إلى تقييد ما أمكن تقييده، ورسم ما تيسر رسمُهُ وتسويده، مما سما إليه الناظر المُطرق، في خبر الرحلة ّإلى بلاد المشرق، من ذكر بعض أوصاف البلدان، وأحوال من بها من القُطان، حسبما أدركه الحس والعيان، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان، من غير تورية ولا تلويح، ولا تقبيح حسن ولا تحسين قبيح، بلفظ قاصد لا يُحجم معردا، ولا يجمح فيتعدى المدى، مسطرا لما رأيته بالعيان، ومقررا له بأوضح بيان،... وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر، أو أنشدته من درر، ما أنظم في أوراق مُتبدده، ...وأثبت في خلال ذلك من نظمي ما يتغلغل إليه الكلام، أو تجنح إلى تحصيله ضوامر الأقلام، وأضيف إلى ذلك ما يضطر إليه التبيان فيما قصر فيه العيان، من نُبذ مذكورة، ونُتف مشهورة، ونُكت مرسومة في الكتب مسطورة... مثبتا في كل رسم بعض الأحاديث التي رويتها، والآثار التي وعيتها... وأختم ذلك بقصيدة وعظية أسرد فيها الرحلة سردا، وأُبرزها من نسج فكري بُردا"[13].

وقد كان العبدري وفيا لهذا المنهج الذي ارتضاه لرحلته، مطبقا له، فقد وصف البلدان وصفا دقيقا بمبانيها وآثارها، وكثيرا ما كان يعرج على أهلها فيصف عاداتهم وتقاليدهم، ولباسهم، ومستواهم العلمي، ولم يكن متساهلا في نقد ما كان يراه غير طبيعي سواء في أخلاق الناس أو في عاداتهم، وخصوصا فيما يتعلق بالناحية العلمية للبلاد التي كان يدخلها كقوله عن تلمسان:"...وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد، وغاضت أنهاره فازدُحم على الثماد، فما ظنك بها وهي رسم عفا عنه طلّله، ومنهل جفّ وشله".

ونتيجة لنظرته السلبية في وصفه للمدن التي زارها جعل بعض الباحثين كحسين مؤنس يصفه بأنه كان رجلا متشائما، سيء الظن في الدنيا والناس، وكان من أولئك الناس الذين لا يدرون ما يريدون، فهم في نظره دائما في سأم وقلق وضيق، وإسراع إلى النفور والمذمة، فهو لا يكاد يلقي في طريقه رجلا يوصف بالعلم إلا في النادر، فيقول بمناسبة زيارته لتلمسان:" ما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم ولا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس"، ويقول عن مدينة مليانة:" وما بقي بها من له بالعلم أدنى عناية"، وعن مدينة الجزائر:" فلم يبق بها من هو من أهل العلم محسوب، ولا شخص إلى فن من فنون المعارف منسوب..."، ثم يصل إلى بجاية فيرضى عن أهلها بعض الشيء ويصفهم بالمواظبة على الصلوات، ثم يعود إليه سخطه ونفوره، ويقول:" غير أنه اعتراه من الغير ما شمل في هذا الأوان البدو والحضر، قد غاض بحر العلم الذي كان به حتى عاد وشلا، وعفا رسمه حتى عاد طللا"، ويصل إلى قسنطينة فيقول:" ولم أر بها من ينتمي إلى طلب، ولا من له في فن من فنون العلم أرب سوى الشيخ أبي علي حسن بن بلقاسم بن باديس"، وهذا صنيعه في كل البلاد التي زارها تقريبا إلا في تونس.

وقد ذكر الأستاذ محمد الفاسي عبارة نقلها عن رحلة ابن عبد السلام الناصري حيث قال تعليقا على ذمه لمصر وأهلها:" جريا على عادته عفا الله عنه في ذم البلاد وأهلها، وما كان ينظر إلا بعين السخط إليها، فليته مدح من يستحق المدح، وذم من يستحق الذم، أو يتغافل عنه إلا بقصد البيان، وما رأيناه مدح بلدة ولا سكانها إلا مدينة

تونس، ولو أمكنه أن يقول في الحرمين هجوا لقال، ويعلل محمد الفاسي ذلك بأن العبدري من سكان الجبال لم يألف الناس ولا البحث عنهم ولا الذهاب إليهم، إنما ينزل بمدرسة من جملة الطلبة، أو بفندق من جملة الغرباء، ولا يتفطن له عالم ولا ذو مروءة حتى إذا صدر عن البلد قال فيه ما شاء"[14].

وأما عن سبب رضى العبدري عن مدينة تونس فذلك يرجع إلى أنه وجد فيها ما لم يجده في غيرها من البلدان، حيث وجد ناسا يحتفلون به ويؤنسونه بل يتركون أعمالهم ليقفوا على خدمته، ويعرفونه بالفضلاء من أهلها، فأنس بهم واستروح، ولم يشعر بهذا الخمول الذي كان يملأ نفسه إذا نزل بمدرسة من جملة الطلبة، أو بفندق من جملة الغرباء، وهذا ما كان يثير نفسه ويملؤها سخطا[15].

وكما يذكر الباحثون فإن العبدري في حقيقته كان رجلا ريفيا ألف العيش في الجو الطلق الصاحي في الجبال بعيدا عن زحمة الناس وضجيج المدن، ولهذا فقد كان يحس بأنه في جوه الذي يألفه إذا خرج من المدن، وضرب في الطرق على وعرتها، فإذا دخل مدينة عاوده الانقباض والنفور، وزاد شعوره بذلك عمقا اضطراره إلى المبيت في بيوت الطلاب أو الفنادق مما كان يُشعره بمهانة وضياع، فتمتلئ نفسه مرارة يصبها بعد ذلك على الورق، وهذا التناقض هو الذي يضفي على رحلته طرافة فريدة في بابها تتأتى من انتقاله من الاسترواح والاطمئنان خارج المدن إلى الكآبة والسخط في داخلها[16].

ومما ينبغي قوله أن كلام العبدري عن الطبيعة ومناظر السهول والجبال والبحار وهيئات المدن كما تبدو له من بعيد كله اشراق وانفعال يدل على حساسية مرهفة بكل ما هو طبيعي طلق، ومن هنا يظهر لنا أن العبدري جغرافي لمّاح يدرك بالنظرة الأولى ما لا يدركه غيره بالتأمل الطويل، ومثال على ذلك قوله عن مدينة تلمسان:" وتلمسان مدينة كبيرة سهلية جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور"، وأما قوله عن مدينة الإسكندرية:" بلد الاشراق اللامع والطلاقة، وطلاوة المنظر وحلاوة المذاقة"[17].

وتبرز أهمية رحلة العبدري في كونه قد ملأها بكلام كثير في الفقه والنحو واللغة والأدب والشعر، وخصص صفحات بأسرها في مناقشة دقائق من هذه العلوم أو في رواية أشعار له ولغيره، في روايته بعض سير العلماء والصالحين مما حبب الكتاب إلى الناس في العصور السابقة فقد كانت هذه المواد هي أهم ما يعنيهم في مثله، ومما يدل على أهمية هذه الرحلة انتشار نسخها المخطوطة في كثير من مكتبات العالم، واعتماد الكثير من المؤرخين عليها كالتنبكتي صاحب نيل الابتهاج الذي أفاد منها ونقل كثيرا من التراجم عنها، وعدّها مصدرا من مصادر كتابه، ونقل عنها الوزير السراج في كتابه الحلل السندسية في الأخبار التونسية فقرات طويلة، واعتبرها من مصادر كتابه، كما اهتم بها بعض الرحالة واسترشدوا بها ونقلوا عنها، حيث نقل عنها ناسخ رحلة ابن بطوطة فقرات كثيرة، وكذلك شأن الرحالة ابن عبد السلام الناصري الذي كان يستحضرها في كل مراحل رحلتيه الكبرى والصغرى، وأيضا عبد القادر الإسحاقي، واعتمد عليها العياشي في الكثير من تدقيقاته، وأيضا الورتلاني، ونظرا لأهميتها فقد قام أبو العباس بن قنفد القسنطيني (ت. 809هـ/1406م) باختصارها بعنوان:" المسافة السنيّة في اختصار الرحلة العبدرية"، ولا يزال هذا المختصر إلى حد الآن مخطوطا[18].

ومما يزيد في أهمية هذه الرحلة أنها تعد وثيقة مهمة عن الحياة العلمية في أواخر القرن 7هـ/13م في البلاد التي مرّ بها العبدري، والتقى بعلمائها فقد أعطانا العبدري فكرة موسعة عن المستوى العلمي في هذه البلاد، وعرفنا بأعلام العلماء، وما كان يُهتم به من العلوم المختلفة، كما دلنا على الكتب التي كانت رائجة آنذاك، وطرائق التدريس المتبعة في ذلك الوقت، وقد ترجم العبدري لمجموعة من العلماء الذين لا نكاد نعثر لهم على صورة واضحة في المصادر المختلفة، فأضاء جوانب من شخصياتهم، وعرفنا بهم وبطبائعهم، وكانت أوصافه تتصف بالدقة لأنها صادرة عن شاهد عيان[19].

**ثانيا: أسباب الرحلة ومدتها:**

خرج العبدري من حاحة[20] بالمغرب الأقصى بصحبة ابنه في 25 ذي القعدة من عام 688م الموافق لـــ: 12 ديسمبر 1289م، وكانت وجهته مكة المكرمة، فسار في مدن بلاد المغرب الإسلامي، توقف خلالها وقفات طويلة بالمدن الكبرى، ومن مصر رافق قافلة الحج لأداء الفريضة، ثم رجع إلى مصر عن طريق فلسطين فأمضى بعض الوقت بالقاهرة والإسكندرية، وغادرها إلى وطنه مارا في طريقه بمدن المغرب الإسلامي مرة أخرى حتى بلغ أزمور على المحيط الأطلسي، وهناك أقام بعض الوقت حتى تلحق به أسرته، وقد أخذ في رحلته طريق البر ذهابا وإيابا، وربما دفعه ذلك كراهيته لركوب البحر[21].

وهناك عدة أسباب حملت العبدريّ على القيام برحلته من المغرب الأقصى إلى بلاد المشرق الإسلامي ومنها نذكر ما يلي:

الأول: سبب دينيّ: وهو القيام بفريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدّسة، وقد صرّح العبدريّ مرارا بأنّه كان ينوي الإقامة بمكّة والمجاورة بها، وبأنّه قد اكترى المنزل وجهّز لوازمه، وصرف الرّكب إلى المغرب، لولا حدوث فتنة[22] وقع فيها القتال بين أمير الركب الشامي وأهل مصر، وقُتل من أهل مكة جملة وقُتل أشخاص من الركب، وقد أرغمته هذه الظروف الصعبة على الرّحيل عن مكّة[23].

الثّاني: هو رغبته في لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم، وكان العبدريّ حريصا على البحث عن السّند العالي فيما أخذه عن هؤلاء العلماء والمحدّثين، ورأينا العبدريّ في سؤال دائم عن الأحوال العلميّة والثّقافيّة في البلاد الّتي مرّ بها؛ فإذا صادف مجموعة من العلماء في بلد من البلاد طرب لذلك وانشرحت نفسه فانطلق لسانه ثناء وحمدا كما حدث معه في تونس. وإذا لم يجد هذا النّوع من العلماء هجا بلسانه الدّرب هذه البلاد وأهلها كصنيعه في بعض مدن المغرب الأوسط كتلمسان والجزائر ووهران بجاية، وبعض مدن المغرب الأدنى كقابس وطرابلس[24].

أمّا مدّة الرّحلة فيبدو أنّها استمرّت أكثر من سنتين، ويذكر البحاثّة حسن حسني عبد الوهاب أنّ العبدريّ زار تونس مرّتين في طريق ذهابه إلى الحج سنة (688هـ/1289م)، وعند رجوعه سنة (691هـ/ 1292م) فعلى هذا يكون العبدريّ قد أمضى ثلاث سنوات في رحلته ويؤكّد هذا البلويّ حين أورد أبياتا للعبدريّ في رحلته. فقال:" أنشدها في تونس في رجب الفرد سنة (690هـ/ 1291م)"[25]. فمن المحتمل إذن أن يكون العبدريّ قد عاد في هذه السّنة من الحجاز وأقام في تونس سنة أخرى كما فعل نظيره ابن رشيد السّبتي (ت. 721هـ/1321م) صاحب "ملء العيبة". ويؤكّد هذا الاحتمال ما ذكره العبدريّ عن أهل تونس، وكياستهم ، وعلمهم ، فقد أعجب بعلمائها ومجالسهم العلميّة، ودليل ذلك قوله عند دخوله تونس بعد عودته من الحجاز :" وقد أقمت بها مدّة حتّى شفيت الحشا العليل، ونقعت بوردها الغليل، وقطعت فيها الغدوّ والأصيل، بمجالسة كلّ فاضل جليل، فما أنفصل عن عالم يوضح الحلك مهما أجاب، إلّا إلى صالح يحتلب به درّ السّحاب ، ولا أغدو عن مجلس أدب كقطع الرّياض، إلّا إلى محفل وعظ يسقي الخدود بالدّمع الفيّاض، فقطعتها أيّاما من غفلات الدّهر مختلسات ، وانتظم لي شمل أنس طالما مني بالشّتات، فلم يبق بها شيخ مذكور إلا رأيته ، ولا علم مشهور إلّا أتيته"[26].

والحقيقة أن العبدري لم يقوم بزيارة تونس مرتين فحسب بل هناك عدة مدن زراها مرتين، ومثال على ذلك مدينة الإسكندرية التي زارها مرتين، وأيضا بعض مدن المغرب الأوسط: كبونة وقسنطينة وبجاية التي التقى فيها في المرة الثانية بالفقيه منصور بن محمد الزواوي المشدالي ومرّ على طريقه الأول إلى مليانة فتيامن منها على طريق مازونة، كما زار تلمسان مرة ثانية وكان ينوي الإقامة بها مدة معينة حتى يجد صحبة يتوجه معها إلى رباط تازة لولا إدراكه لقافلة كانت تستعد للسفر فخرج معهم[27].

يمكن القول أن الرحلات عادة ما تكون ذات هدف مزدوج ككثير من الرّحلات الحجازيّة الّتي كان أصحابها يقصدون الدّيار المقدّسة لأداء فريضة الحجّ، ويغتنمون الفرصة ليلتقوا الشّيوخ في المدن الّتي كانوا يمرّون بها، ويأخذون عنهم ما يتيسّر لهم من العلوم المختلفة[28].

**ثالثا: الحياة العلمية في بلاد المغرب الأوسط من خلال رحلة العبدري:**

وصف لنا العبدري الحياة العلمية في بعض مدن المغرب الأوسط في أثناء مروره بهاته المدن متوجها إلى بلاد المشرق الإسلامي وهي كالتالي:

**1- تلمسان:**

ذكر لنا العبدري في رحلته إلى تلمسان أن الحياة العلمية في هاته المدينة قد درس اسمها، وقد ذكر لنا أنه حضر أحد مجالس العلم وكان فيها مدرسا يعلمهم علم النحو باب التوكيد من الجمل، ومنها قوله لطلابه: كلا للمذكرين، وكلتا للمذكرتين، وأعربوا قول ابن دريد الأزدي[29]:" هُمُ الذين جرَّعُوا مَنْ ما حَلُوا، هم: مبتدأ، والذين: مبتدأ ثان، وجرّعوا: خبره، والجملة في موضع خبر الأول[30].

وأما عن حالة الفقه والفقهاء في مدينة تلمسان فهو عند العبدري طويل الاغتراب، ثم يذكر لنا مرة أخرى أنه ما رأى بتلمسان من ينتمي إلى العلم سوى العالم أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس[31]، وكان مولده سنة 650هـ/1252م، وله عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه والمعين عليه، وله حظ وافر في الأدب والشعر، وله ديوان شعر سماه: المنتخب النفيس في شعر ابن خميس، ومن شعره وهي قصيدة طويلة:

ومـــن العجيـــة أن أُقيـــم ببلدة  يوما وأســـلم من أذى جُهـالها.
حُجبوا بجهلهم، فإن لاحـت لهم  سنن الهدى عبثوا بضَوء دُبالها.

وممن التقى به العبدري أثناء وجوده بتلمسان أبو زكريا يحي بن عصام وكان له حظ من اللغة والشعر، وكان جارا لابن خميس، وكان العبدري يجتمع بابن عصام كثيرا، ومما سمعه عنه قوله:"

ألا اعلم بأن الموت كأس مُدارة على كل مَن قد راح فيها ومن غدا".

ومما قاله أيضا:"

من شذّ عن سُنن الجماعة قد غوى جاءت بذا الكُتُب الصحاح مُعرفة"[32].

وقد مارس العبدري المنهج النقدي فيما ينقله أثناء وجوده بتلمسان أو في غير من المدن التي زارها فأحيانا يصحح لنا بعض الأخطاء، ومن ذلك قوله بعد أن نقل لنا أبياتا من قصيدة ابن خميس:" قلت: هذه القصيدة مهذبة الألفاظ والمعاني ...إلا أن مقطعها قلق ناب، لا يلين ولو مُضغ بضرس وناب، وليس يلتئم بما قبله ولا يمتزج..."[33].

وقد نقل لنا العبدري في رحلته هذه إلى تلمسان أشعار كثيرة بعضها نقلها عن بعض الشيوخ، وأحيانا يقوم العبدري بنظم الشعر بنفسه، ومما قاله في أثناء وجوده بتلمسان:"

تغربت عن أهلي إليك ومالي وأعرضت عن قيل عداك وقال.
ولاحت لي الدنيا فأبصرت عمرها ولو زيد أضعافا كحل عقال[34].

**2- مليانة:**

بعد الإقامة الطويلة في مدينة تلمسان رحل منها في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول، وتاه في الطريق حتى وصل إلى مدينة مليانة وقد بلغ به التعب مداه، ثم يصف لنا مليانة بأنها أشرفت من كثب على وادي الشلف، وهي واقعة في سفح جبل، وبعدها يصف لنا الحياة العلمية بمليانة فيذكر أن بها جامع مليح ولكنه مهجور، وأن الناس قد أعرضوا عن العلم وأهله، وهذا على حسب قوله يدل على فشو الجهل، وذكر أنه استفاد بمليانة حكاية وهي أن بعض الكتاب كان يكتب كتابا عن أمير، فلما قرأه عليه لم يرضه فمزقه، فكتب ثانية فمزقه، فلما رأى تعسفه أخذ قرطاسا ونظم فيه ارتجالا:"

رأيتك تكويني بميسم منّة كأنك أنت اليوم علة تكويني.
وتلويني الحق الذي أنا أهله وتُمطلني فيه بعذل وتلويني.
فاقصرعن العتب الطويل فبلغة العيش تكفيني إلى حين تكفيني".

وللأمانة العلمية يذكر لنا العبدري أنه يأخذ هذه الحكاية ممن يطمئن إليه، ويحيل بالعُهدة فيها عليه، ويذكر أن الغرض من تدوينها هو النظر في حالها، فإن صحت فهو الغرض، وإن لم تصح فيعرف الناس كذبها[35].

والبيت الأول والثالث من ديوان الإمام الشافعي، ووردت الأبيات الثلاثة في ديوان أبي الفتح البستي (ت.323هـ/935م) وفي يتيمة الدهر منسوبة للبستي[36].

**3- الجزائر:**

عند وصول العبدري إلى الجزائر أو جزائر بني مزغنة فقد ذكر لنا أنها قد حازت على مزيتي البر والبحر، وفضيلتي السهل والوعر، وأما عن الحياة العلمية فقد ذكر أنها خالية من العلم وأهله، وقد بحث فيها عن أحد العلماء أو الأدباء ليؤنس غربته فلم يجد ما كان يصبو إليه[37].

**4- بجاية:**

وبعد ارتحاله من الجزائر توجه العبدري إلى بجاية، فوصفها لنا بأنها مدينة برية بحرية، تقع على سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر، وهي متحصنة تحصينا طبيعيا بحيث لا يتمكن الأعداء من اقتحامها، وأما عن الجانب العلمي والديني فقد ذكر لنا أن بها جامع مشهور[38] جزء منه على البر وجزء منه مشرف على البحر، وهذا الجامع مأهول بالمصلين المواظبين على إقامة الصلاة، وأبرز لنا مكانة بجاية العلمية وأنها بقية من قواعد الإسلام، ولكنها في هذا الوقت يعني في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث شعر الميلادي قد تدهورت أحوالها وأصبح العلم وأهله في اضمحلال وقلة، وذكر أن بها آحاد من طلبة العلم قد اقتصروا على مطالعة الصحف والدفاتر، وسلكوا في ترك تصحيح الرواية طريقا لم يرضه الأعلام الأكابر[39].

وفي بجاية التقى كما يذكر العبدري بالعالم الفقيه الخطيب المسند الرواية أبي عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي (ت. 699هـ/1300م)[40]، وهو خلاف القارئ أبو محمد القاسم بن فِيرُّه لشاطبي (ت. 590هـ/1194م)[41]، وذكر أنه له علو الرواية مع حظ وافر من الدراية، وكانت مدة إقامته ببجاية يومان، وقرأ العبدري مع كثرة مشاغله وهمومه على الشاطبي ففي الحديث بعضا من كتاب الموطأ برواية يحي بن يحي، وناوله سائره، وفي علوم القرآن قرأ عليه بعضا من كتاب التيسير في القراءات السبع، وكتاب المقنع في رسم المصحف لأبي عمرو الداني (ت. 444هـ/1052م)[42] وهو مختصر في معرفة رسوم المصاحف، مع بيان القول في كيفية نقطه وإحكام ضبطه على وجه الايجاز والاختصار، وقرأ عليه جميع قصيدة الشيخ قاسم بن فيره الشاطبي في القراءات، كما قرأ على الشاطبي كتاب الشمائل للترمذي وبعض من كتاب رياضة المتعلمين للحافظ أبي نعيم أيضا كتاب المفردات لأبي عمرو، وكتاب فضل قيام الليل وكتاب فضل تلاوة القرآن للإمام أبي بكر الآجري، وأجازه إجازة عامة وكتب ذلك بخط يده، وقيد له جملة من أسماء شيوخه ومروياته، وقد جمع في برنامج له قرأه عليه حينما لقيه في المرة الثانية، كما نقل عن الشاطبي بعض الأشعار وقرأ عليه أيضا بعض القصائد الشعرية ومنها أول قصيدة أبي عبد الله بن أبي الخصال القرطبي (ت. 450هـ/1058) التي سماها معراج المناقب[43].

**5- ميلة:**

تبعد عن قسنطينة حوالي 40 كيلومتر إلى الشمال الغربي، ووصف لنا الحياة العلمية وذكر أن تشبه مليانة، فهي على حسب قوله على شكل مدينة ليست بثمينة ولا متينة، عمل البلى فيها وفي السكان، وأدخل الجميع في خبر كان، وأنها بلد خلاء وفناء لا يحوي إلا على ماء وبناء[44].

**6- قسنطينة:**

وصف العبدري مدينة قسنطينة بأنها مدينة منكوبة، وأما عن الحياة العلمية فقد ذكر أنه لم ير فيها من أهل العلم والفنون سوى الشيخ علي حسن بن بلقاسم بن باديس[45]، وكان من الفقهاء، وله عناية بالرواية، وذكر أن علي حسن بن بلقاسم قرأ الموطأ على الشيخ الفقيه المحدث أبي يعقوب يوسف بن موسى الغماري[46] حين مرّ على قسنطينة، ثم قرأ عليه العبدري صدرا من الموطأ، وقام العبدري وسأله عن أبي علي حسن بن عمر الأديب والشاعر القسنطيني المعروف ابن الفكون[47] فذكر له أنه أدركه وهو صغير ولم يحفظ له مولدا ولا وفاة[48]، وذكر العبدري أنه حاول أن يروي قصيدته في رحلته من قسنطينة إلى مراكش فلم يجدها فقيدها هنالك غير مروية، وكان ابن الفكون قد كتب بقصيدته إلى أبي البدر بن مردنيش وهو بقسنطينة، ومن هذه الأبيات نذكر ما قاله عن بعض مدن المغرب الأوسط:

فلما جئت ميلة خير دار أمالتني بكل رشا[49] أبيّ.
وجئت بجاية فجلت بدورا يضيق بوصفها حرف الرّوي.
وفي أرض الجزائر هام قلبي بعسول المراشف[50] كوثريّ.
وفي مليانة قد دُبتُ شوقا بلين العطف والقلب القسيّ.
وفي تَنَسٍ نسيت جميل صبري وهمت لذي وجه وضيء.
وفي مازونة ما زلت صبّا بوسنان[51] المحاجر[52] لوذعيّ[53].
وفي وهران قد أمسيت رهنا لظامي[54] الخصر[55] ذي ردف رويّ.
وأبدت لي تلمسان بدورا جلبن الشوق للقلب الخلّي[56].

وقد انتقد العبدري بعض معاني هذه الأبيات، ومما قاله:" بوسنان المحاجر لوذعي: موضوع في غير موضعه، فإن الوسن إنما يوصف به الجفن والعين والطرف وما جرى مجراه... وأما المحاجر فما وصفها أحد بالوسن فيما أعلم... وترتيب اللوذعي مع وصف المحاجر، كترتيب الدّلّ[57] مع الشنب[58]. ويشير هنا العبدري

إلى قصة الكميت بن زيد عندما أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده:"

وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا تكامل فيها الدّلّ والشنب[59].

**7- بونة:**

ذكر لنا العبدري أن بونة -وهي مدينة عنابة الحالية- مدينة منكوبة، وذكر أنه وجد النصارى في زورق قد حاصروا البلد فقطعوا عنهم الدخول والخروج، وقد وقع بأيديهم بعض أسرى المسلمين، وأثناء عودته من بلاد المشرق وبعد أداء فريضة الحج فلما وصل إلى تونس مرّ مرة أخرى على بونة، ولم يذكر لنا شيئا عن الحياة العلمية في هاته المدينة[60].

**8- مازونة:**

يصف لنا العبدري مدينة مازونة بقوله:" مثوى خطوب الزمان، ومناخ ركاب الحدثان؛ وهي بُليدة مجموعة، مقطوعة من بعض جهاتها بحرف واد منقطع شبه قلعة"، وأما عن الحياة العلمية فلم يذكر شيئا عنها، وهذا من خلال قوله:" ولكنها واهية حسا ومعنى، وليس بها ما يُتعرض لذكره البتة"[61].

**9- وهران:**

لما وصل العبدري إلى مدينة وهران قال عنها:" وهي مدينة مليحة، حصينة، برية، بحرية، وهي مرسى تلمسان وأنظارها، ومتجر تلك النواحي"، ووصف اضطراب أحوالها الأمنية بقوله:" ولكنها لما طرقها من نوائب الدهر مُطرقة، وجيوش الخطاب المُلمّة بها مُحدقة، قرعتها حتى قرعت ساحتها؛ ..."، وأما عن الجانب العلمي فقد ذكر لنا قلة الاهتمام بالعلم وأهله، والاعراض عن التعلم وفشو الجهل، وفي هذا الصدد يذكر لنا العبدري ما نصه:" بل خرس بها لسان التلاوة، وزيد بها حمار الجهل على الفودين[62] علاوة، لم يطعموا العلم ولا ذاقوا له حلاوة، بل تبرؤوا منه فكلهم[63] فالج بن خلاوة..."[64].

**الخاتمة:**

من خلال ما سبق يمكننا القول أن رحلة العبدري من أهم الرحلات التي أعطتنا صورة واضحة ومفصلة عن أحوال الحياة العلمية في بعض مدن المغرب الأوسط في أواخر القرن 7هـ/13م، وقد زودنا ببعض العلوم التي كانت تدرس آنذاك كعلوم القرآن والحديث والفقه والنحو والأدب والشعر، كما ذكر لنا بعض علماء المغرب الأوسط، وإن كان العبدري قد بالغ في بعض الأحيان وتجاوز حده حيث بدت نظرته تشاؤمية اتجاه الحياة العلمية في كل مدن المغرب الأوسط التي مرّ بها أثناء رحلته تلك، وخير دليل على ذلك أن الرحالة قام بزيارة مدن المغرب الأوسط في أوائل القرن 8ه/14م ولم يظهر لنا هذه النظرة التشاؤمية التي برزت عند العبدري.

ومن أهم التوصيات في هذا المجال نذكر ما يلي:

أ-ضرورة الاهتمام بكتب الرحلات والجغرافيا باعتبارها مادة ثرية وغنية تعين المؤرخ لسد الكثير من الثغرات التي تعترضه عند تدوينه لتاريخ المغرب الأوسط، وخاصة في الجانب العلمي.

ب-الدعوة إلى عقد ملتقى دولي تبزر فيه دور الرحلات المغربية في نشاط الحياة العلمية وازدهارها بالأندلس والمشرق الإسلامي.

**الهوامش:**

1 عبد الكريم السمعاني، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، 1382هـ/1962م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الهند، ج9، ص183؛ خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ط15، 2002م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ج7، ص32؛ آنخل جنثالث بالثنيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، (د.ط) ،(د.ت)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص318.

2 عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط1، 1983م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ج6، ص402؛ محمد بن محمد العبدري، رحلة العبدري، حققها وقدم لها: علي إبراهيم كردي، ط2، 1426ه/2005م، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ص ص7-8.

3 العبدري، المصدر السابق، ص ص8، 301.

4 العبدري، المصدر السابق، ص ص30-32، 39، 84-92، 96؛ أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، 1997م، دار صادر، بيروت-لبنان، ج2، ص483.

5 العبدري، المصدر السابق، ص ص 105، 106، 114، 116، 118، 163، 169، 184-194.

6 المصدر نفسه، ص ص228-234، 245-247، 289-301.

7 المصدر نفسه، ص ص429، 473.

8 العبدري، المصدر السابق، ص8؛ الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص32.

9 أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المملكة المغربية، ج1، ص287؛ الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص32.

10 العبدري، المصدر السابق، ص9؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، ج11، ص244.

11 محمد عبد الحي الكتاني، هرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، ط2، 1982م، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ج2، ص809؛ العبدري، المصدر السابق، ص ص9، 137.

12 الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص32؛ فروخ، المرجع السابق، ج6، ص402؛ العبدري، المصدر السابق، ص39.

13 العبدري، المصدر السابق، ص ص12، 28، 29.

14 مؤنس، المرجع السابق، ص521.

15 المرجع نفسه، ص522.

16 المرجع نفسه، ص523.

17 المرجع نفسه، ص ص523-525؛ العبدري، المصدر السابق، ص ص210-211.

18 المرجع نفسه، ص ص525-526؛ العبدري، المصدر السابق، ص ص16-17.

19 العبدري، المصدر السابق، ص18.

20 حيث ذكر لنا العبدري في كتابه الرحلة أن بداية رحلته كانت من حاحة. أنظر: العبدري، المصدر السابق، ص40.

21 أغناطيوس بوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم، (د. ط)، 1957م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، ص367؛ فروخ، المرجع السابق، ج6، ص401.

22 أنظر تفصيل هذه الفتنة: العبدري، المصدر السابق، ص ص391-393.

23 العبدري، المصدر السابق، ص10.

24 أنظر: العبدري، المصدر السابق، ص ص10، 49، 82، 83، 108، 184، 561، 562، 563.

25 خالد بن عيسى البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مقدمة وتحقيق: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، (د. ط)، (د. ت)، المحمدية-المملكة المغربية، ج2، ص109.

26 العبدري، المصدر السابق، ص ص10، 11، 489.

27 العبدري، المصدر السابق، ص ص104، 210، 481، 588، 561، 562.

28 العبدري، المصدر السابق، ص11.

29 ابن دريد: هو أبو بكر محمد بن الحسن من قبيلة الأزد اليمنية، ولد بالبصرة سنة 223ه/838م، وقرأ على علمائها، ثم صار إلى عمان فأقام بها إلى أن مات، وقال عنه أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين:" ... هُوَ الَّذِي انْتَهَت إِلَيْهِ لُغَة الْبَصريين، وَكَانَ أحفظ النَّاس، وأوسعهم علما، وأقدرهم على الشّعْر، وَمَا ازْدحم الْعلم وَالشعر فِي صدر أحد ازدحامهما فِي صدر خلف الْأَحْمَر وَابْن دُرَيْد، وتصدر ابْن دُرَيْد فِي الْعلم سِتِّينَ سنة"، من مؤلفاته: الاشتقاق، المقصور والممدود، أدب الكاتب...إلخ، توفي في سنة 321ه/933م. أنظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، (د.ت)، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان، ج1، ص ص71-97.

30 العبدري، المصدر السابق، ص47.

31 ذكره ابن الخطيب باسم محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحجري حجر ذي رعين التلمساني ويكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن خميس، توجه إلى غرناطة في سنة 703هـ/1303م، ومات مقتولا بها في عيد الفطر من سنة 708هـ/1308م أنظر ترجمته: لسان الدين بن الخطيب، ط1، 1424ه، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج2، ص ص376-404؛ أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط2، 1392هـ/1972م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد-الهند، ج5، ص ص370-371.

32 العبدري، المصدر السابق، ص ص73-75.

33 العبدري، المصدر السابق، ص ص55-58.

34 العبدري، المصدر السابق، ص ص76-87.

35 المصدر نفسه، ص ص78-81.

36 ورد البيتان الأول والثالث في ديوان الشافعي، ووردت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى البستي مع تغيير بعض الألفاظ أنظر: محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، (د.ط)، (د.ت)، مكتبة ابن سينا، القاهرة-مصر، ص151؛ عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ط1، 1403ه/1983م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج4، ص ص369-370.

37 العبدري، المصدر السابق، ص ص82.

38 بقي هذا الجامع يؤدي دوره التعبدي والتعليمي إلى بداية القرن 10ه/16م عندما تعرضت بجاية للاحتلال الإسباني في سنة916ه/1510م حيث تعرض هذا الجامع ومعه 62 مسجدا للتدمير والتخريب من قبل الإسبان، وأما ما تبقى من هاته المساجد وهي تقدر بنحو 10 مساجد فقد تم تحويل بعضها إلى كنائس، والأخرى إلى ثكنات عسكرية. أنظر ما وصفه مارمول كاربخال والحسن الوزان لجامع بجاية أثناء زيارتهما لمدينة بجاية في أوائل القرن 10ه/16م. مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط-المملكة المغربية، 1409ه/1989م، ص377؛ الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983م، ص50.

39 العبدري، المصدر السابق، ص ص82-83.

40 ذكر ابن قنفد أنه توفي بجامع بجاية الذي لم تفته فيها جمعة. أحمد بن قنفد، الوفيات، ط4، 1403هـ/1983م، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، ص335.

41 أنظر ترجمته: محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (د.ط)، 1351هـ، مكتبة ابن تيمية، ج2، ص ص20-23.

42 المصدر نفسه، ج1، ص ص503-505؛ أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (د. ط)، 1967م، دار الكاتب العربي، القاهرة-مصر، ص ص411-412.

43 العبدري، المصدر السابق، ص ص84-92.

44 العبدري، المصدر السابق، ص93.

45 لم يذكر لنا تاريخ وفاته. أنظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، 2000م، دار الكاتب، طرابلس-ليبيا، ص155.

46 من تلاميذه المحدث حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ الذي روى عنه، وعبد الرحمن الجزولي، وأبو الحسن الغازي، وغيرهم، توفي في أواخر القرن 7ه/13م. ابن قنفد، المصدر السابق، ص330؛ أحمد بن محمّد بن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسمى:" درّة الحجال فى أسماء الرّجال"، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، ط1، 1391ه/1971م، دار التراث، القاهرة-مصر، ج3، ص ص344-45.

47 ذكره ابن القاضي باسم ابن البكور والصحيح هو ابن الفكون. ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص ص236-238؛ أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، ط3، 1979م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، ص ص334-336.

48 العبدري، المصدر السابق، ص ص93-96.

49 رشا: ولد الضبي. ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص237.

50 الرشف: ماءٌ قليلٌ يبقى فِي الحوض تَرْشُفُه الإبل بأفواهها، والرَّشِيفُ: تناوُلُ المَاء بالشَّفَتين، وهو فَوق المصّ، والرشف البَقِيَّة اليسِيرَة من السَّائِل ترشف بالشفاه وَيُقَال حَوْض رشف لَا مَاء فِيهِ. أنظر: محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج11، ص239؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مصر، ص347.

51 الوسن: وَسن: قَالَ اللَّيث: الوسَن: ثقل النَّوْم. ووَسِنَ فلانٌ: إذا أَخَذته سَنَةُ النُّعاس. ورجُل وَسِن ووَسْنان، وَامْرَأة وسْنى: إذا كَانَت فاتِرَة الطَّرْف. أنظر: الأزهري، المصدر السابق، ج13، ص54.

52 المحاجر: قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: المَحاجِر الحَدِيقة. محمد بن منظور، لسان العرب، ط3، 1414ه، دار صادر، بيروت-لبنان، ج12، ص423.

53 لوذعي: لذع الطَّائِر لذعا رَفْرَف ثمّ حرك جناحيه قليلا، وَفُلَان برَأيهِ وذكائه أسرع إلى الفهم وَالصَّوَاب فهو لوذعي. أنظر: مصطفى وآخرون، المصدر السابق، ج2، ص822.

54 لظامي: من الظأم وهو الظَّأْمُ: الكَلامُ، وَفِي بَعْضِ نُسَخِ الصِّحاح: الصِّياح (والجَلَبَةُ) مثلُ الظَّأْبِ، وظَأْمُ التَّيْسِ: صَوْتُه ولَبْلَبَتُه كَظَأْبه. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج12، ص373؛ محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. ط)، (د. ت)، دار الهداية، ج33، ص32.

55 الخصر: قال اللَّيْث: الْخَصْرُ: وسَط الْإِنْسَان، والخاصرَتان: مَا بَين الْحَرْقَفَةِ والقُصَيْرَى. أنظر: الأزهري، المصدر السابق، ج7، ص59.

56العبدري، المصدر السابق، ص ص96-96.

57 الدل: الدل من قَوْلهم: امْرَأة ذَات دلّ أي شكل، وقال الجوهري:" والدل: الغنج والشكل. وقد دَلَّتِ المرأةُ تَدِلُّ بالكسر، وتَدَلَّلَتْ، وهي حسنةُ الدَلِّ والدَلال أنظر: محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، 1987م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ج1، ص114؛ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، 1407ه/1987م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ج4، ص1699.

58 الشَّنَبُ: وقَال أبو العَبَّاس: اخْتَلَفوا فِي الشَّنَب، فقالت طائفة: هو تَحْرِيزُ أطْرَاف الْأَسْنَان، وقيل: هو صفاؤُها ونقَاؤُها، وقيل هو تَفْلِيجُهَا، وَقيل: طِيبُ نَكْهتِها.وَقَالَ الأصمعيّ: الشَّنَبُ: البَرْدُ والعذُوبَةُ فِي الفم. أنظر: الأزهري، المصدر السابق، ج11، ص ص259-260.

59 العبدري، المصدر السابق، ص ص100-101.

60 العبدري، المصدر السابق، ص ص104، 558.

61 العبدري، المصدر السابق، ص561.

62 الفودان: الفَوْدان قَرْنا الرَّأس وناحِيَتاه، والفودان العِذْلان. أنظر: الأزهري، المصدر السابق، ج14، ص139.

63 العبدري، المصدر السابق، ص ص561-562.

64 من أمثال العرب: " أنا من هذا الأمر فالج بن خلاوة " قالوا: معناه أنا منه بريء. وتفسير هذا أنه إذا خلا منه فقد فاز، أي نجا منه. فالج: اسم رجل، وهو فالج بن خلاوة الأشجعي؛ وذلك أنه قيل لفالج بن خلاوة يوم الرقم لما قتل أنيس الأسرى: أتنصر أنيسا؟ فقال: إني منه بريء. ويقال للرجل إذا وقع في أمر قد كان منه بمعزل: كنت من هذا فالج بن خلاوة يا فتى. أنظر: أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 1399هـ/ 1979م، دار الفكر، بيروت-لبنان، ج4، ص ص448-449؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص347.

## قائمة المصادر والمراجع:


- السمعاني عبد الكريم، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، 1382 حيدر آباد-الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية 1382هـ/1962م.
- الزركلي خير الدين بن محمود، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 2002م.
- بالثنيا آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر (د. ت).
- فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1983م.
- العبدري محمد بن محمد، رحلة العبدري، حققها وقدم لها: علي إبراهيم كردي، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا 1426هـ/2005م.
- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، 1997م، دار صادر، بيروت-لبنان.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، (د. ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المملكة المغربية.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت

- محمد عبد الحي الكتاني، هرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، ط2، 1982م، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
- أغناطيوس بوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم، (د. ط)، 1957م، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- خالد بن عيسى البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مقدمة وتحقيق: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، (د. ط)، (د.ت)، المحمدية-المملكة المغربية.
- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، (د. ت)، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان.
- لسان الدين بن الخطيب، ط1، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط2، 1392هـ/1972م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الهند.
- محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، (د. ط)، (د.ت)، مكتبة ابن سينا، القاهرة-مصر.
- عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ط1، 1403هـ/1983م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط-المملكة المغربية، 1409هـ/1989م.
- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983هـ.

- أحمد بن قنفد، الوفيات، ط4، 1403هـ/1983م، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان.
- محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (د.ط)، 1351هـ، مكتبة ابن تيمية.
- أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (د. ط)، 1967م، دار الكاتب العربي، القاهرة-مصر.
- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، 2000م، دار الكاتب، طرابلس-ليبيا.
- أحمد بن محمّد بن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسمى:" درّة الحجال فى أسماء الرّجال"، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، ط1، 1391هـ/1971م، دار التراث، القاهرة-مصر.
- أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، ط3، 1979م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان.
- محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مصر.
- محمد بن منظور، لسان العرب، ط3، 1414ه، دار صادر، بيروت، لبنان.
- محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.ط)، (د.ت)، دار الهداية.
- محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، 1987م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، 1407هـ/1987م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.
- أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 1399هـ/1979م، دار الفكر، بيروت، لبنان.